Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



من أى ارتباط ضرورى أدركناه بالحواس ، مادام كل ما ندركه بالحواس هو تعاقب الوقائع . وكان هيوم قد أثبت من قبل أننا لا نجرد علاقة الضرورة العلية من الواقع الحسى ، ومع ذلك فإننا نطبق هذا المدرك العقلى على الإدراك الحسى ، فهل يعنى هذا أن (كانت ) يحرر مثل هذه الأحكام من التجربة ويعيدها إلى وراثة أو غريزة سابقة عليها ؟ ينبغى أن نعترف ونؤكد أننا لا نقول ، ولا يمكن أن نزعم ، التطابق بين « المقولات » وهى الأحكام القبلية التركيبية فى فلسفة (كانت ) ، و « النماذج العليا البدائية » عند يونج ، ولكننا لن ننظر إليهما – على صحة التسليم بالمبدأين بالطبع – كقوتين متعارضتين ، إن ما بينهما شىء يمكن أن أسميه التزامن والتصاقب ؛ وحدة المولد فى الزمان والمكان ، وهذه الرابطة ستجعل نشاط العقل ونشاط المخيلة يرجعان فى جذورهما ، مصادرهما ، إلى عمق واحد حين يعملان بتوجيه مركزى نافذ وهادف[١١] .

ولعل القول بأن (كانت ) قد مزج فى فلسفته بين تيارين : العقلى والتجريبى يحل لنا جانبا آخر من قضية مكونات التصور – وليس الصورة فحسب . لقد مزج (كانت ) بين الحكم الذاتى والحكم الموضوعى فى مبدأ ثالث هو القصد « وفكرة القصد متضمنة فى أى تفسير علمى ، فكل تفسير من هذا النوع إنما يقوم دائما على الافتراض الضمنى بأن القوانين التجريبية الخاصة التى نستكشفها هى أكثر من مجرد اقتران غير ذى رباط ، أوكومة من التعميمات غير المترابطة ، فنحن نبحث عن وحدة منتظمة بعينها ، وهذا يستلزم أنه من الممكن اعتبارها « وكأن عقلا فاهما » – وإن لم يكن عقلنا الفاهم – قد قدمها للمكاتنا الإدراكية لكى يجعل فى الإمكان قيام « نسق » من الخبرة ، يجىء متمشيا مع قوانين الطبيعة »[١٢] .

سنلغى من فكرنا أن الحديث عن التجربة يعنى « المعملى » مادام يستهدف الوصول إلى قانون أو اكتشاف نسق ، وسنتذكر ما قاله يونج لنرى مصدرا من أهم مصادر التنسيق بين الأشياء ، وهو تمازجها واختلاطها ، توحدها فى لحظة الإدراك وزمن الاعتقاد الأول فى رؤية الإنسان . وأحسبنا الآن سنكون أكثر تقبلا لاستدراك تلميذ (كانت ) وهو (كاسيرر ) ( ١٩٥٤ م ) – مثلما استدرك يونج على أستاذه فرويد من قبل – فقد قال (كانت ) بأن الخبرة

---

(١١) ولعلنا نتذكر هنا ما سبقت الإشارة إليه ، من أن الشعر كانت له ربة عند الإغريق هى Muse والمغزى المهم هى أنها ابنة الذاكرة ، ولكنها – وهذا أكثر أهمية – ليست الذاكرة الشخصية بل ذاكرة القبيلة. Fancy and Imagination, P. 8

(١٢) الموسوعة الفلسفية – ص ٢٥٤ .